

**"CONFESSION" BEYOND THE NOVEL:
MANIFESTATIONS OF SOCIAL PHILOSOPHY IN THE NARRATIVE TEXT**

Dr. Rana Farman MOHAMMED ¹

Al-Qadisiyah University, Iraq

Dr. Rawaa Naass MOHAMMED ²

Al-Qadisiyah University, Iraq

Abstract

This study traces the forms of "recognition" thought as a social philosophy that accompanied the structural transformations in post-Marxist society. It focuses on the decline of the class struggle model in favor of identity-based struggles, which center on the desire for self-recognition and the assertion of existence in the face of narratives of bias and social exclusion. The study also seeks to uncover the weaknesses in the moral logic that contribute to social crises. Additionally, it sheds light on the impact of shifts in social philosophy on shaping the world of the novel, given the close relationship between philosophy and literature.

Key words: *Recognition, Beyond The Novel, Social Philosophy.*

 <http://dx.doi.org/10.47832/2757-5403.33.8>

¹  rana.mohammed@qu.edu.iq

²  rawaa.mohammed@qu.edu.iq

"الاعتراف" ما وراء الرواية
مظاهر الفلسفة الاجتماعية في النص الروائي

أ.م.د. رنا فرمان محمد

جامعة القادسية، العراق

أ.م.د. رواء نعاس محمد

جامعة القادسية، العراق

الملخص

تعنى الدراسة بتتبع أشكال فكر "الاعتراف" بوصفه فلسفة اجتماعية واكبت التحولات البنيوية في مجتمع ما بعد الماركسية على مستوى تراجع نموذج صراع الطبقات في مقابل ظهور صراع الهويات القائم على الرغبة في انتزاع الاعتراف بالذات وتحقيق الوجود في مقابل سرديات التحيز والنبذ الاجتماعي، عطفاً على الكشف عن نقاط ضعف المنطق الأخلاقي المتسبب في الأزمات الاجتماعية، كما تسلط الضوء على تأثير تحولات الفلسفة الاجتماعية في تشكيل عالم الرواية بالنظر للعلاقة الوثيقة بين الفلسفة والأدب.

الكلمات المفتاحية: الاعتراف، ما وراء الرواية، الفلسفة الاجتماعية.

التمهيد

نشأة الاعتراف

يشهد النظام الاستيمى تغيرات عميقة تتبلور عن طريق بروز مفاهيم معرفية مرافقة للتحويلات الفكرية الكبرى التي تشهدها حركة التاريخ؛ على مستوى انتقال الحركة من الفاعل الاقتصادي المتمثل بمفهوم "الطبقة" إلى الفاعل الإثنى والقومي والعقائدي أي الهوية، تحديداً بعد أن "بدأ مفهوم الطبقة يفقد بريقه الماركسي"³ وانحسار المد الشيوعي ويزوغ مسارات "التضامن" بين الطبقتين: البرجوازية والبروليتاريا في أميركا على سبيل المثال من جهة قدرة آلة الإنتاج على توفير مستوى معين من الرفاه الاقتصادي والحريات الفردية، فقد تراجع صراع الطبقات لصالح صراعات أخرى بين الإثنيات والقوميات والتكتلات الاقتصادية والعقائد والديانات وما رافقها من تصنيفات لا تتوقف على الديمغرافيا الأممية الجديدة المتمثلة بالهجرة ما بعد الكولونيالية، ولكن سرديات التطرف، ونماذج الهويات النافرة؛ مثل النسوية، والشواذ، والملونين، والمهمشين، وبعد أن أصبح السياسي يخترق ويخلق الهوية أصبحت سياسات الهوية التي تمارسها المخيلة أحد أهم وسائل الهيمنة وترسيم الحدود والتراتيبات الطبقة، فظهر نموذج الهيمنة الأميركية، والخريطة المذهبية في الشرق الأوسط، وثنائيات المركز والهامش، والغرب والشرق⁴؛ إعادة تشكيل للوعي الطبقي على مستوى الهويات ليس المفهوم الماركسي، هذه التحويلات الفكرية الشاملة تدفع بالضرورة نحو ظهور الحاجة إلى مفاهيم فلسفية تتناسب مع ما نضح عن ذلك التحول من إشكالات اجتماعية لا تقتصر على أحداث الإبادة والصراعات الدينية والمذهبية ولكن تداعيات حلولها أيضاً ممثلة بسياسات السلم الاجتماعي في بعض الدول عن طريق الإقرار بقوانين التعددية الثقافية، فقد كتب كثير من الباحثين عن فشلها؛ تلك الحركة الثقافية المتضمنة دعوات التسامح مع الثقافات المتنوعة في مجتمعات التعدد الثقافي أثر حوادث الإرهاب العالمي، فقد تصاعدت وتيرة الصراع الوجودي متخذاً أشكالاً متعددة، وقد كانت انطولوجية الصراع وديمومته دعوة لبلورة الفلسفة الاجتماعية، بوصفه يعزى إلى نوازع الفكر الميتافيزيقية؛ الذي لم يتخط فكرة الأصل، والهوية، والمركزية؛ القوى المتواطئة لإبقاء الفكر ميتافيزيقياً، فقد كانت "الدعوة الهيدغرية الانتشوية لتجاوز الميتافيزيقا تعني أيضاً الكشف عن هذه التواطئات، وكسر الخيوط التي تشد الفكر إلى الهوية والأصل والمركزية"⁵ فتشحن الصراع، وقد "ولدت الفلسفة الاجتماعية الحديثة في اللحظة التي بدأنا فيها فهم الحياة الاجتماعية بوصفها علاقة تقوم على الصراع من أجل الوجود"⁶ وذلك يعيدنا إلى التحويلات الفكرية بوصفها دافعا إلى توجيه المسار المعرفي والبحثي صوب مفاهيم الفلسفة الاجتماعية التي يتصدرها "الاعتراف".

مفهومه

يرتكز الاعتراف على دلالة الإقرار والإخبار وعلى لغة بوح البوح، أما نظرية الاعتراف فتشتغل على النظرية الاجتماعية والفلسفة السياسية والأخلاقية وقد اكتسبت أهميتها في الحقل المعرفي بوصفها خطاباً لمساءلة الحقيقة وانتاجها⁷، ويؤسس هيغل لمفهوم الاعتراف المتبادل على أساس فكرة مضادة لمفهوم الصراع بين الذات القائمة على نموذج هوبز بوصفها وسيلة لحفظ البقاء الفردي، إذ ترتبط فكرة الاعتراف عنده بفكرة الاستقلال الذاتي أي التحقق

³ إدوارد سعيد – الهجنة، السرد، الفضاء الإمبراطوري/ مجموعة مؤلفين، ابن النديم للنشر والتوزيع- الجزائر (ط1) 2013: 15.

⁴ ينظر: إدوارد سعيد – الهجنة، السرد، الفضاء الإمبراطوري/ مجموعة مؤلفين: 15- 17 .

⁵ المصدر نفسه : 20 .

⁶ الصراع من أجل الاعتراف- القواعد الأخلاقية للمآزم الاجتماعية/ أكسل هونيث، المكتبة الشرقية – بيروت (ط1) 2015: 19 .

⁷ ينظر: ميشيل فوكو المعرفة والسلطة/ د.عبد العزيز عيادي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر- بيروت (ط1) 1994: 33.

الذات باعتراف الآخر فيكون الاعتراف وسيطا بينهما اجتماعيا لتنظيم التبادلات، وفي ذلك ربط بين المفهوم الحديث للحرية، وبين الأخلاق الذاتية والموضوعية -بعيدا عن مسألة الالتزام الأخلاقي بوصفها شرطا راسخا عند كانط - فهو يشرح فلسفيا انبثاق تنظيم اجتماعي يجد تماسكه الأخلاقي بالاعتراف المتكامل بالحرية الفردية لكل المواطنين⁸ في بناء المجتمع .

ويرى "أكسل هونيث" إن هيجل قد استعاد في مقالاته عن نسق الحياة الأخلاقية نظرية فيخته عن الاعتراف، ليصف البنية الداخلية للعلائق الأخلاقية الأولية التي جعلها في أصل سيرورة التنشئة الإنسانية، فقد نظر فيخته في حديثه عن أساس الحق الطبيعي إلى الاعتراف بوصفه فعلا متبادلا بين الأفراد وعلى أساسه تتحقق العلاقة القانونية، وقد تجاوز هيجل نموذج فيخته بعد تخليصه من التضمينات الفلسفية المتعالية وتطبيقه على أشكال الفعل المتبادل بين الأفراد⁹ لأن فكرة الاعتراف الهيجلي تكمن في إدراك الذات ذاتها لحظة اعتراف الآخر بها لتتمكن من إظهار هويتها الخاصة التي تميزها عن الذات الآخر بوصفها كائناً خاصاً "إذ أن على الذات في كل مرة التخلي صراعاً عن مرتبة أخلاقية تم بلوغها في ما سبق للتوصل بطريقة ما للاعتراف بشكل أكثر إلحاحاً من فرديته وهكذا تتكون حركة الاعتراف التي تؤسس لكل علاقة أخلاقية بين الذات في سلسلة متتابعة من الصراعات والمصالحات التي تمتص واحدتها الأخرى"¹⁰، فقد حاول هيجل التنظير للاعتراف الأخلاقي والقانوني والعاطفي مؤسساً للاعتراف الهوياتي كونه يمثل تحققاً وتعييناً للهوية على مستوى الجماعة.

يظهر معنى الاعتراف عند "بول ريكور" على وفق ثلاث درجات تبدأ بدرجة الاعتراف بوصفه معارفة، أي درجة تشكل الحكم والتصور والإدراك، وتليها درجة الاعتراف المعبر عن الذاتية أو الاعتراف بالذات، ثم الدرجة الثالثة وهي الاعتراف بوصفه عملية تبادلية تلزم التفاعل والتشارك بين الذات وذلك يتضمن الصراع والحرب والمنازعة التي يكون منها إقامة الرباط المدني وحدوث الجماعة السياسية وتأسيس الدولة والحق وتكوين التاريخ¹¹ أي ان الاعتراف عند ريكور يمر بمراحل انتقالاً من مستوى الذات إلى الآخر، أي عملية تداوت يمكن من خلالها عد الاعتراف مطلباً قاراً في مفاصل بنية الدولة بوصفها ناشئة عن نظام الجماعات السياسية أو الأحزاب الرسمية المشاركة في السلطة في الأنظمة الديمقراطية على مستوى تمثيل الجماعات المختلفة في المجتمعات متعددة الثقافات والطوائف، فتشمل أحزاب النخبة والأحزاب الجماهيرية وغيرها، والتي يكون من ضمن وظائفها؛ "مساهمتها المحورية" في تشكيل الرأي العام وتوجيه سلوك المواطنين، التي تحولت مع أطماع أفراد هذه الجماعات في الهيمنة والسلطة في مجتمع التعدد إلى خطاب طائفي ومن ثم نزاعات طائفية تهدف كل منها إلى محو الآخر وإقصائه، وتحول أفراد الشعب من الطائفتين الشيعية والسنية إلى جماعتين سياسيتين متقاتلتين كما هو الحال على سبيل المثال في المشهد السياسي والاجتماعي العراقي الذي خرج عن مسار المشروع الوطني الجامع، إذ لا تمتلك الجماعات السياسية العراقية وعياً سياسياً ينتشلها من طائفيتها أو دوافع تشكيلها الأولى فهي لم تنشأ عن عمل سياسي مؤمن بروح الدولة والمصلحة العامة وبذلك لم تنتج

⁸ ينظر: الصراع من أجل الاعتراف/ أكسل هونيث: 33.

⁹ ينظر: المصدر نفسه: 38 .

¹⁰ الصراع من أجل الاعتراف : 39.

¹¹ ينظر: سيرة الاعتراف- ثلاث دراسات/ بول ريكور، تر: فتحي إنفزو، مراجعة: محمد محجوب، دار سيناترا- المركز الوطني للترجمة - تونس (ط1) 2010: 11.

تمثيلاً سياسياً ديمقراطياً سليماً ولكن تقاسماً ومحاصصة تجزئية، وذلك ما قدمت الرواية تداعياته وسنقف عنده في مظاهر الاعتراف القسري.

مظاهر الاعتراف في النص الروائي

تسهم العلاقة الوثيقة بين الأدب والدراسات الإنسانية المتنوعة بشكل كبير في فتح مجالات البحث النقدي في عالم الرواية على مستوى الموضوع؛ الذي يسهم بدوره في تشكيل عناصرها البنائية بما يتناسب وطبيعة الفكرة وأبعادها، ذلك ما يدفعنا للبحث عن مظاهر الفلسفة الاجتماعية ممثلة بفكر الاعتراف وتجلياته داخل النص الروائي على مستوى التقنيات.

كيف يتحقق الاعتراف؟ وهل يمكن تحقيقه؟ بهذه التساؤلات نبدأ البحث على مستوى مركزية المفهوم في إشكاليات الهوية في رواية (مصباح أورشليم) للروائي "علي بدر"، إذ تتشكل أحد أساليب تحقيق الاعتراف الذي ظهر في الرواية اقتراباً من مفهومه عند "بول ريكور" بوصفه عملية تبادلية تُلزم التفاعل والتشارك بين الذات متضمناً الصراع، بما يقارب فكرة صناعة الحقيقة، أو صناعة الاعتراف بالهوية والوجود تحدياً لسردية هوية الآخر، وذلك ما يمكن تحديده في رواية مصباح أورشليم التي كتبت بأسلوب "ما وراء القص" تماهياً، أسلوب القص الذي يندرج ضمن ما يسمى بالانعكاسية الذاتية التي توجه وعي القارئ إلى طبيعة الرواية بوصفها تركيباً خيالياً وكشفاً عن قدرة الأنظمة التخيلية على بناء المعنى، أو عمليات صناعة المعنى – انطلاقاً من رؤية بعد حدثية للحقائق الثابتة بوصفها صناعة لغوية – فالطريقة التي ينتج بها الكاتب رواية جمالية تشير إلى عملية مماثلة؛ العملية التي تنتج أنظمة المعنى في العالم⁽¹²⁾، ويظهر أسلوب ما وراء القص في "مصباح أورشليم" عندما كُلف الراوي بتأليف رواية -رواية داخل رواية- أو عندما وجد نفسه مسؤولاً عن تأليفها بعد اختفاء مؤلفها (أيمن مقدسي) العراقي من أصل فلسطيني، الذي أراد كتابتها بوصفها "معادل اعتراف"؛ رواية الهوية الأصل مقابل الروايات الإسرائيلية، التي حققت الاعتراف والوجود الإسرائيلي (رواية عن إدوارد سعيد .. لماذا رواية؟ لماذا لا تكتب كتاباً؟ قال: لأنَّ إسرائيل نشأت من أسطورة أدبية من فكرة رومانتيكية .. نشأت من رواية وبالتالي يجب إعادة كتابتها عن طريق الأدب أيضاً.. يجب تكذيبها عن طريق الرواية.. الرواية هي أفضل حرب .. طالما كل الحروب قد خسرت وفشلت لماذا لا نجرب الرواية..)⁽¹³⁾ فتصبح الكتابة فعل تداوت من أجل تحقيق أو انتزاع الاعتراف بوجود دولة فلسطين؛ سرد مقابل سرد، يقول الراوي: (كان يعتقد أن أفضل ما يفعله هو إعادة سرد الأساطير لتكذيبها.. لتدميرها.. لكشف خداعها.. لكشف زيفها)⁽¹⁴⁾ وقد ظهرت معالم الاعتراف بوصفه مظاهر فلسفة اجتماعية داخل النص عن طريق:

الشخصية

من مقومات السرد الأساسية التي ترتبط بجوهر المفهوم بوصفه قصة؛ حدد "يان مانفريد" انها تستلزم الشخصيات، فهو "وسيلة اتصال تعرض تتابع أحداث تسببت فيها أو جربتها الشخصيات"⁽¹⁵⁾ إذ يمكن أن تشكل

(12) ينظر: جماليات ما وراء القص دراسات في رواية ما بعد الحداثة / مجموعة مؤلفين، تر: أماني أبو رحمة، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع – دمشق (د.ط) : 15 .

(13) مصباح أورشليم / علي بدر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت (ط2) 2009: 13.

(14) مصباح أورشليم / علي بدر: 13 .

(15) علم السرد – مدخل إلى نظرية السرد / يان مانفريد، تر: أماني أبو رحمة، مراجعة دريد سعيد، مكتبة الجيل العربي – الموصل (د.ط) 2009: 11.

الشخصية قيمة دلالية كبرى داخل النص قادرة على بناء ثيمته بوصفها شخصية ثيمية مثل شخصية "إدوارد سعيد" في رواية "مصباح أورشليم" إذ عمد أيمن مقدسي إلى جعل سعيد بطلا لروايته لمواجهة أبطال روايات عاموس عوز الروايات التي أغفلت شخصية العربي (إدوارد سعيد كان أخطر حرب على إسرائيل، أخطر من كل الحروب الفاشلة التي خضناها)¹⁶ شخصية مضادة، وحقيقة تقوض الرواية الإسرائيلية عن نموذج الشخصية العربية الضعيفة أو المتخلفة التي رسختها الرواية الإسرائيلية بوصفها فعل الكتابة لتحقيق الوجود الإسرائيلي وانتزاع الاعتراف عن طريق النص الأدبي أو الروائي، وما رواية مقدسي إلا فعل كتابة مضاد، صراع داخل النص من أجل الاعتراف، بالنظر لما يحققه المتخيل الإبداعي عامة من إسهام فعلي في بناء الوعي، ذلك ما جعل كثير من الفلاسفة يصبون اهتمامهم على قراءة النص الأدبي ويفردون دراسات مهمة في هذا المجال لاسيما رؤية الفلاسفة من ذوي المرجعية الثقافية الماركسية ممن بحث العلاقة بين العمل الفني والعصر استنادا إلى "أن العمل الفني مجرد انعكاس للقاعدة المادية التي هي بمثابة الواقع الحقيقي، وأن هناك رابطة محددة بين هذا العمل والطبقة الاجتماعية والفعل السياسي الثوري"¹⁷ التي تؤكد على قدرة الأدب في تقديم الرؤية الفلسفية المؤثرة في الوعي الاجتماعي .

ولم يكتف الروائي من توظيف شخصية "إدوارد سعيد بهذه الدلالة، ولكنه كان يطمح لأبعاد دلالية أخرى تتمثل بنموذج الخطاب الثقافي الذي صدره "إدوارد سعيد" في كتابه "الثقافة والإمبريالية" عن فكرة التعايش والانفتاح على الآخر، التي تقدم طبيعة الثقافة العربية وإمكانية احتوائها على الخطاب الإنساني الراض للسلط والناذب للتعصب، مما يحيل إلى أسلوب آخر للنص الروائي في بناء مظاهر الاعتراف بوصفه فلسفة اجتماعية، يتمثل بالحوارية.

حوارية الخطاب الثقافي

تتخذ حوارية "ميخائيل باختين" مظاهر متعددة لا تقف عند التداخل بين النصوص ولكن بين الخطابات أيضا "إن كل رواية إلى حد ما هي نظام حوارى من تمثيلات اللغات؛ الأساليب؛ الوعي الملموس الذي لا يمكن فصله عن اللغة، فالرواية لا تمثل اللغة فحسب ولا تعيد تقسيم الأشياء.. إنها هي نفسها غاية من غايات التمثيل"¹⁸ إذ يمكن أن نقول إن رواية "مصباح أورشليم" تدخل في حوارية خطابية مع كتاب "الثقافة والإمبريالية" لـ "إدوارد سعيد" فهي محاولة لإعادة بناء طبيعة الثقافة العربية عن طريق تداخل الخطابات وأصوات الشخصيات بوصفها وحدة أسلوبية عليا تكوّن الأسلوب الفعلي للرواية أي طبيعة أسلوبية مخالفة تتجاوز اللغة "لتصب في مجال التصورات والمفاهيم والرؤى للعالم ... وهذه التصورات لا تكتسب قيمتها من ذاتها بل تكتسب هذه القيمة لأنها موجودة بجانب بعضها البعض في إطار علاقة حوارية متبادلة"¹⁹ لتحقيق هوية أصل متكاملة على المستوى الثقافي القيمي .

الاعتراف القسري

رصدت الرواية شكلا آخر من أشكال الاعتراف في المجتمعات؛ إذ قد يكون الاعتراف استراتيجية سلطوية عندها يأخذ طابعا قسريا عندما يجبر المرء على الاعتراف بالقوة والإكراه حتى وإن لم يكن تلقائيا أو ناتجا عن وازع باطني، فإنه

¹⁶ مصباح أورشليم/ علي بدر: 13.

¹⁷ مدخل إلى قراءة فلسفة فلتر بنيامين - دراسة ونصوص/ د. كمال أبو منير، منشورات الاختلاف - الجزائر (ط1) 2013: 22- 23.

¹⁸ المبدأ الحوارى - راسة في فكر ميخائيل باختين/ تزفيتان تودوروف، تر: فخري صالح، دار الشؤون الثقافية - بغداد (ط1) 1992: 88.

¹⁹ حوارية الخطاب الروائي - التعدد اللغوي والبوليفونية/ د. محمد بوعزة، دار رؤيا للنشر والتوزيع - القاهرة (ط1) 2016: 31.

يغتصب، نخرجه من الروح أو نفتلعه من الجسد²⁰، ويعد هذا النوع من الاعتراف شكلاً من أشكال الاعتراف المرتبط بالطبيعة القمعية للسلطة "إن الأنا المعترف يمارس عليه الاعتراف إلى درجة التضحية بالذات"²¹ فيصبح الاعتراف فعلاً مشروطاً تخضع له أنا المعترف قسراً مما يشعرها بالسلب والامتهان والذل الذي يظهر بوصفه ممارسة سلطوية كثيراً ما ترتبط بالجسد على مستوى التصور السلطوي المادي، وقد تناولت الرواية الذاكرة الجماعية الحية المرتبطة بالأحداث الكبرى مثل "جريمة سبايكر"²²، فتحاول تجسيم هذه الذاكرة عبر تمثيل وعيها الفردي في التاريخ، محاولة استعادة نسختها الماضية على هيئة عمل تخيلي فالسردية هي تصور تأمُّ للوجود²³، وما فعلته رواية "قمر أحمر على سبايكر" لـ "جمال حيدر" تشكيل صورة لهذا الوجود إذ شكل الكاتب رؤيته لحادثة أليلة كان محو الجسد فيها موضوعاً حاضراً ومركزياً لانتزاع الاعتراف، يقول الراوي: "كبلوا معصميه وقدميه، وعصبوا عينيه وعلقوه في السقف مع نزيف ذاكرته ثمة نزيف في الذاكرة ثمة أيام من العذاب، الكثير ممن علقوا إلى جانبه من الجنود انهاروا واعترفوا بحقيقة انتمائهم، يقادون مكبلين صوب المرافق لقتلهم"²⁴ فلا تمثل لحظة الاعتراف بالرواية لحظة شجاعة أو بطولة بل لحظة مميتة من الخضوع الأيديولوجي والمحو الوجودي، فالاعتراف قادر على صناعة الهويات كما يعمل على محوها. يؤسس جمال حيدر في مقدمة روايته لمواقف تظهر في شكل اعترافات قسرية: "هذه حكايات بعض الناجين من مجزرة سبايكر عام 2014 آلاف الضحايا الذين ارتقوا إلى السماء من الطافين في مياه نهر دجلة، الذين غدوا طعماً للأسماك، والمقتولين غدراً بين الطرق الملتوية الواصلة بين المدن، أو الممددين في عرائن تسريح، والمطمورين تحت تراب المقابر الجماعية ممن أكلت أجسادهم وحوش البراري، حكايات بحجم وطن وبحجم تاريخه المسي والغارق في المآسي"²⁵ وقد شهدت صور الاعتراف تكويناً بلاغياً لافتاً على مستوى من التحولات السردية المتعاقبة مع الفلسفات الاجتماعية والبنى النفسية التي تأسست عليها مقولات الرواية، منها ما يمثل ذواتاً طائعة وخاضعة آيديولوجياً تم انتاجها داخل جهاز الدولة من خلال نداء المؤسسة العسكرية - أنت جندي/اذن طائع - (على امتداد القاعة التأمّت الكثير من الوحدات العسكرية، انها الاوامر التي تقتضي بذلك)²⁶، وأوامر عسكرية تخلت عن آلاف الجنود ورمتهم ليتّم تصفيتهم جسدياً (ان القادة العسكريين الكبار في قاعدة سبايكر قد تقاعسوا أو تخاذلوا، وربما تأمروا، ان جريمة بهذا الحجم لا يمكن ان يشهدها العراق لو تعامل هؤلاء الضباط بمسؤولية، ومنعوا انسحاب آلاف الجنود، لتبقى المنطقة بأسرها في قبضة الدواعش وتحت سيطرتهم)²⁷، وقد اتخذت اعترافات الجنود مسارين مختلفين كانت احدهما اعترافات الجنود الناجين من الموت، (أنا علي حسين كاظم " كنت مذهولاً بفعل المشاهد الوحشية التي تجسدت أمامي رأيت الموت بأمر عيني، لامسته وعايينته وعرفت أسرارها،..... انهزم الرصاص على رؤوسنا كالمطر، كنا مطوقين فيما يصبوب نحونا كل أنواع الاسلحة وأكثرها فتكاً : رشاشات، مسدسات، بي كي سي، بينما يسقط الجنود وهم مكبلون،..... بعدما سقط الجندي الثالث وتناثر دمه على الجانب الايمن من وجهي ورأسي ورقبتي.... ظن القاتل بأنني قد أصبت وشارفت على الموت،

²⁰ ينظر: ميشال فوكو المعرفة والسلطة، عبد العزيز العبادي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع- بيروت (ط1) 1994: 34

²¹ المصدر نفسه: 34.

²² الإبادة الجماعية التي تعرض لها الجنود العراقيين في معسكر واقع في مدينة "صلاح الدين" على يد التنظيم الإرهابي المعروف بـ"داعش" الذي نتج عنه قتل 1300 جندي عراقي لأسباب طائفية.

²³ ينظر: الزمان والسرد الحبكة والسرد التاريخي/ بول ريكور، تز: سعيد الغانمي، وفلاح رحيم، راجعه: د.جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد المتحدة-بيروت(ط1) 2006: 9.

²⁴ قمر أحمر على سبايكر/ جمال حيدر، ناشرون للطباعة والنشر - لندن (ط1) 2023: 94.

²⁵ المصدر نفسه: 5.

²⁶ قمر أحمر على سبايكر / 135

²⁷ المصدر نفسه/ 66

لكنني نجوت، كيف ؟ لا أعلم)²⁸ لتروا على ألسنتهم قصة النجاة بوصفها عملاً بطولياً عندما يعيد الجندي تشكيل ذاته ليكون متمرداً على خطاب المحو من خلال الانسحاب والتخفي ومقاومة الموت (اعترف بصريح العبارة أن الخوف بدأ يتغلغل في شراييني محتلاً الزوايا المخفية داخل جسدي، لكنني لم أفقد تشبهي بالحياة، لم أفقد معناها بعد)²⁹، إذ لم تعرضهم الرواية على أنهم أبطال معارك بل أبطال وجود، نجوا من فخ الاعتراف. أما ثانيهما فهي صور اعترافات الجنود القسرية عندما اجبروا على الاعتراف بأسمائهم وطائفتهم لانتزاع هويتهم ومحوهم جسدياً (- من يا طائفة أنت ؟ - من طائفتكم -والله لو طلعت جندي لأذبحك بالسكين)³⁰. وفي هذا السياق فإن الجنود في "قمر أحمر على سبايكر" لم يكونوا مستهدفين كأفراد بل تم وضعهم في مجال نيكرو-سياسي³¹ عندما تم تصنيفهم على أنهم لا يستحقون الحياة، فمن اللافت أن الرواية لا تسرد مقتلهم فحسب بل تتحدث عن موتهم المعاش، أي أنهم عاشوا زمن موتهم وهم أحياء) كنا مجموعة كبيرة تقدر بالمئات، وضعونا القتلة على ضفة النهر، ووجهوا إلى رؤوسنا فوهات الرشاشات الثقيلة بعدوانية، وكأن كل هذه الاعوام التي عشناها بلا قيمة)³²، ومن اللافت أيضاً أنه في وجه هذا الموت المنظم ينسج الكاتب صورة أخرى للاعتراف يمكن أن نسميه اعترافاً مضاداً مثلت أصواته شخصيات مثل "ابو حمد" الذي فقد ابنه "حمد" وهو يحاول إنقاذ ستة جنود من الموت، وشخصية "أم قصي" التي لم تتردد بإرسال آخر من تبقى لديها ابنها خالد واخته ميادة للوصول إلى الجنود الهاربين من مجموعات إرهابية على ضفة النهر وإنقاذهم، ولتستضيفهم أم قصي في بيتها حتى لحظة تهريبهم وإيصالهم إلى كركوك، عندما سلمتهم إلى صديقتها "أم عمر" التي أخذت على عاتقها إيوائهم وإيصالهم إلى بغداد وإلى أهاليهم، إذ يظهر الاعتراف فعلاً أخلاقياً واعياً ومحفوفاً بالمخاطرة، لقد قدمت هذه الشخصيات ملاذاً آمناً للجسد المعذب واعترافاً يعيد للذات الإنسانية كرامتها وإنسانيتها بوصفه فعل مقاومة أخلاقي يتحدى الاعتراف القسري وانظمة المحو المؤسسي، ليؤكد أن الاعتراف الأخلاقي هو ما يعيد للإنسان مكانته في وجه العنف .

الصورة البلاغية السردية للموت

يمكن رصد البلاغة السردية في تصوير فكرة الموت متمثلة في القمر الأحمر بوصفه رمزاً دالاً على نوايا الشر كما وردت في الديانات والفلسفات القديمة، وقد اتخذ في الرواية أشكالاً مختلفة منها صورة الدم المتدفق سريعاً وساخناً ليستقر في مقابر جماعية، يقول الراوي: "حين تتوقف الجماجم المثقوبة عن النزيف، وتتخثر الدماء يضعون القتلى في سيارة شحن من نوع كيا... تغادر بعدما تمتلئ بجثث الضحايا، وترمي الجثث في مقابر جماعية في منطقة الجزيرة"³³، اتخذت رواية سبايكر الجسد المعذب والقتل والرعب وسائل لإظهار الاعتراف القسري وموضوعاً لفعل التاريخ وعلاقته بالهوية الجماعية بوصفه استراتيجية خطابية مضادة لخطاب السلطة والفعل المؤسسي "فالخطاب ليس لغة تضاف لها ذات تتكلمها، بل هو ممارسة لها أشكالها الخصوصية من الترابط والتتابع"³⁴ فيمكن القول إن تاريخ الاعتراف

²⁸ ينظر : المصدر نفسه / 47 و 48 و 49

²⁹ المصدر نفسه / 11

³⁰ المصدر نفسه / 36

³¹ النيكرو-سياسية هي القدرة على تحديد من يجوز له أن يعيش ومن يجب أن يموت .. انها انتاج لعوالم موت، وهو مفهوم طوره المفكر الكاميروني أشيل مبمي في كتابه: (necropolitic) فالدولة او السلطة هي التي تحدد من هم البشر القابلون للعيش ومن هم القابلون للقتل والمحو، ينظر: السياسات النكرووية او سياسات الموت/ اشيل مبمي/ تز: امانى ابو رحمة / مارس 2020 / ثقافات/ www.alfaisalmag.com

³² ينظر: قمر أحمر على سبايكر/ جمال حيدر: 69

³³ قمر أحمر على سبايكر/ جمال حيدر: 91.

³⁴ ميشال فوكو المعرفة والسلطة/ عبد العزيز عيادي: 20.

القسري مرتبط بصورة أو بأخرى بتاريخ التعذيب، الذي يرتبط هو الآخر بتاريخ الجسد إذ يشير تاريخ الجسد الإنساني إلى مراحل مخيفة ومظلمة قد تعرضت لها الأجساد الإنسانية، وكانت مرتبطة بسياقات مختلفة مثل فيها الجسد عبئاً أو وجوداً مقلقاً للسلطة في حيز مكاني ما، معباً بالأيدولوجيا والهوياتية الضيقة "فالجسد المستجوب اثناء التعذيب يشكل حيز استخراج الحقيقة"³⁵ فيصبح تعذيب الجسد بحسب فوكو "احتفالية انتصارية معلنة من أجل إقرار السيادة لأنه يدخل في سلسلة مراسيم السلطة المغيبة، فقد يضفي التعذيب في عيون الجميع قوة لا تقهر"³⁶ لذا يعد التعذيب أسلوباً من أساليب الاعتراف المنتزع إذ يظهر فيه مفعول الاكراه والتنكيل وبحسب فوكو هو عنف جسدي لانتزاع الحقيقة.

وقد أشارت الرواية إلى قضية الجسد بالتحديد حينما جسدت قضية مهمة في تاريخ العراق المعاصر، وهي مرحلة الاقتتال والتناحر الطائفي والوجود الداعشي التي كان فيها الحيز المكاني للجسد دليلاً على السلطة والتوغل الأيديولوجي ونقص هنا جغرافية الهوية السكانية، فتنوعت السلطات وعمّق نفوذها السياسي بحسب الكثافة السكانية والمناطقية؛ أي لكل آيديولوجيا مساحتها المكانية التي ترفض وجود المختلف لذا فقد كان وجود الجسد الآخر/ الهوية المضادة في الحيز المكاني لهوية الأنا المغلقة أمراً مقلقاً يتطلب اجتثاثه وإلغائه جسدياً للوصول إلى محوه كعقيدة أو سلطة أو هوية مضادة تنتزع الاستقرار الرسمي لسلطة هويتها، وعلى وفق ذلك، فالاعتراف أو انتزاع الاعتراف بهوية الجسد الآخر لم تكن وسيلة للاعتراف بوجوده أو التصالح أو التسامح معه، إنما مثل الاعتراف بهوية الجسد "إدانة" أو تهمة تستوجب العقاب والإقرار بالذنب والتقصير، ولا يحيلنا هذا إلى حق الاعتراف بالآخر من أجل القبول به، بل جاء متنافراً بشكل واضح مع فلسفة الاعتراف أو مظاهر الاعتراف في الفلسفة التقليدية.

وقد كانت ثنائية الألم والاستجواب أداة فنية داخل النص لإظهار العمل المؤسسي للسلطة القائم على اختراق الجسد عبر التعذيب، مما يعزز السلطة ويبرر القوة والقسوة في انتزاع اعتراف قسري مجروح خائف يرسخ الإقصاء والمحو، مما يشي بفلسفة الجماعات السلطوية وخطابها المؤسسي/ داعش، فعندما يكون الجسد مجالاً لإنتاج النظام السلطوي، ويكون التعذيب عملاً وظيفياً مجرداً من الشعور بالذنب، يكون حينئذٍ توظيفه لصناعة نفوذ السلطة وتعزيزها، وقد أشار فوكو في الخطاب والسلطة أن ولادة السجون وبروز التعذيب ظهرت كمخيلة ضد المعرفة عندما يكون الجسد هو الموقع الذي تُمارس عليه الخطابات .

كما أن الطريقة التي يتم بها التخلص من الجسد عبر رميه بالماء أو تكديس الجثث في مقابر جماعية، هي أسلوب محو الوجود الآخر للهوية المضادة؛ والمقصود به وجود ما بعد الموت/ الجثة أو القبر كدالة على الهوية، أي أن طريقة التخلص من الجثة من دون قبر تعزز خطاباً إشهارياً لطمس هوية ذلك الجسد وإعلان السلطة وصناعة عالم جديد ممثلاً بالانتصار على جسد متألم أو جسد مُبعد عن مظاهر الفناء، فعندما لا يكون هناك مظهر دال على فناءه مثل القبور، فهو يُلغى التحقق الفعلي والمكاني له عبر الدفن أي أخذ حيز وجودي دال، وهذا ما أكدته التاريخ القديم للجسد عندما منح آفاقاً لثقافة التعذيب عبر حرق الجسد للإشارة إلى محوه وإخفاء علامة وجوده بعد الفناء، ليؤكد تاريخ التعذيب بعد الفناء. وقد قدم كتاب (جسد متألم) أسباباً للألم التي خُلق من أجلها الجسد، إذ ينطلق تاريخ التعذيب من أفكار بعض الديانات التي تربط الخطيئة بتعذيب الجسد وإرضاء الإله، منتهية بتوظيفه سياسياً للافادة منه بصناعة الألم وصنع السلطة حتى أصبح ركناً من مباحث الفلسفة عند فوكو ودخوله مجال التقييد السياسي.

³⁵ المراقبة والمعاقبة- ولادة السجن/ ميشيل فوكو، تر: د. علي مقلد، مراجعة وتقديم: مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي- بيروت 1990: 78.

³⁶ المصدر نفسه: 82.

إن الجسد المعذب والاعتراف المنتزع منه كان إظهاراً لسلطة معلنة تنتجها الأنظمة السياسية، وقد ارتكزت على هذا الخطاب جماعات متعددة رغبة في طمس حقوق الأفراد والهويات بدعوى أن هذا الطمس كان مشروعاً.

الخاتمة

1. يدخل الاعتراف على مستوى طبيعته التذاوتية في البنى العلائقية المختلفة بداية من الدولة إلى أصغر وحدة اجتماعية فهو أساس جوهري في بناء نظام الدولة الديمقراطي.
2. تنتظم مدونة الأدب على مستوى التمثيل الثقافي لجماعة ما، في مسار العلاقة التذاوتية للاعتراف عندما وظف الكاتب تقنية "ما وراء القص" أسلوباً للكشف عن كيفية تشكل العالم وسرديات الأمم والجماعات من أجل تحقيق الاعتراف بما يشمل ذلك المرويات الأدبية مثل الرواية بوصفها معادلاً موضوعياً لرواية مضادة.
3. يظهر الاعتراف بمظهر قسري بوصفه آلية من آليات العنف وأداة مركزية من استراتيجيات السلطة تتخذ من وسيلة التعذيب أسلوباً للضبط وتطويع الجسد لإعادة انتاج الخضوع وصناعة الحقيقة.
4. كان الاعتراف القسري في رواية "قمر أحمر على سبايكر" عرضاً شعائرياً للقوة وطقساً استعراضياً للهيمنة، كان الجسد فيه فضاءً رمزياً يُمارس عليه القهر لإعادة تشكيله وفقاً لمصالح السلطة.
5. تشكّل الاعتراف على المستوى الفني في النص الروائي على هيئة صور بلاغية، وتقنيات قص، وحوارية خطابات.

الروايات:

- قمر أحمر على سبايكر/ جمال حيدر، ناشرون للطباعة والنشر – لندن (ط1) 2023.
- مصباح أورشلين/ علي بدر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت (ط2) 2009.

المصادر:

- إدوارد سعيد – الهجنة، السرد، الفضاء الإمبراطوري/ مجموعة مؤلفين، ابن النديم للنشر والتوزيع- الجزائر (ط1) 2013.
- الزمان والسرد-الحبكة والسرد التاريخي/ بول ريكور، تر: سعيد الغانمي، وفلاح رحيم، راجعه: د.جورج زيناقي، الكتاب الجديد المتحدة-بيروت(ط1) 2006.
- الصراع من أجل الاعتراف- القواعد الأخلاقية للمآزم الاجتماعية/ أكسل هونيث، المكتبة الشرقية – بيروت (ط1) 2015.
- المبدأ الحوار – راسة في فكر ميخائيل باختين/ تزفيتان تودوروف، تر: فخري صالح، دار الشؤون الثقافية – بغداد (ط1) 1992.
- المراقبة والمعاقبة- ولادة السجن/ ميشيل فوكو، تر: د.علي مقلد، مراجعة وتقديم: مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي- بيروت 1990.
- جماليات ما وراء القص دراسات في رواية ما بعد الحداثة/ مجموعة مؤلفين، تر: أماني أبو رحمة، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع – دمشق (د.ط) .
- حوارية الخطاب الروائي – التعدد اللغوي والبوليفونية/ د.محمد بوعزة، دار رؤيا للنشر والتوزيع – القاهرة (ط1) 2016.
- سيرة الاعتراف - ثلاث دراسات/ بول ريكور، تر: فتحي إنغزو، مراجعة: محمد محجوب، دار سيناترا- المركز الوطني للترجمة – تونس (ط1) 2010.
- علم السرد – مدخل إلى نظرية السرد/ يان مانفريد، تر: اماني أبو رحمة، مراجعة دريد سعيد، مكتبة الجيل العربي – الموصل (د.ط) 2009.
- مدخل إلى قراءة فلسفة فلتر بنيامين- دراسة ونصوص/ د.كمال أبو منير، منشورات الاختلاف- الجزائر (ط1) 2013.
- ميشال فوكو المعرفة والسلطة/ د.عبد العزيز عيادي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر- بيروت (ط1) 1994.
- المواقع الإلكترونية :

السياسات النكرووية أو سياسات الموت/ اشيل مبيمي، تر: اماني أبو رحمة، مارس 2020، ثقافات،

www.alfaisalmag.com